جرّحوا الجامعة ، جرّحوها بعنف ، لتستيقظ فتثور على الغفلة والجهل ...

قولوا وأطنبوا ، فإن لم تفعلوا — وستفعلون — فسآخذ الكلمة من أفواهكم لأسمع الجامعة ما تحب أن تسمع ، فرضاها عن هذه الحال رضا اليأس ، لا فرح التحليق فى أعالى الجواء .

جولوا وصولوا ، يا بنى الأم الروحية ، وقاتلوها وقاتلونى ، لأرى أنكم وهبتم العزائم الفواتك ، والأرواح الصحاح

أنا أثنيت على الجامعة بالحق ، فجرحوها بالحق ، لتأمنوا صيالى فى ردكم إلى شرعة العدل والإنصاف

وإلى اللقاء بعد أن أسمع ما عندكم من حجج وبراهين ، فلن تضام الجامعة وفى الوجود رجل هو أصدق أبنائها الأوفياء

زكى مبارك

الحضارات القـــديمة
فى القرآن الكريم
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى
(تتمـــة)

الحضارة اليونانية

اليونان من الجنس الآرى الذى ينتسب إلى يافث بن نوح عليه السلام ، وهم أول من حمل لواء الحضارة من ذلك الجنس ، وتمتاز حضاراتهم على غيرها من الحضارات بالنهضة العلمية التى قامت على أساسها ، وما زالت ترعاها وتتعهدها حتى ترعرعت وازدهرت ، وظهر فيها من أعلام الفكر أولئك الفلاسفة الذين رفعوا منار العلم ، ووصلوا فيه إلى ما لم يصل إليه أحد قبلهم ، فأقاموه على أسس ثابتة ، وجعلوا له حدوداً ومعالم ظاهرة ، وقد بلغ من قوة تلك الأسس وظهور تلك المعالم أنها لا تزال ثابتة إلى عصرنا ، وأن كل نهضة علمية حدثت بعدها تحذو حذوها ، وتجرى على منوالها ، فتبنى على تلك الأسس ، ولا تتخطى تلك الحدود والمعالم ، ويكون كل همها أن تصلح فيها خطأ أو تزيد على آثارها آثاراً جديدة

وكما تمتاز الحضارة اليونانية بهذا تمتاز بأمر آخر له خطره ، وهو محاولتها جمع العالم على حضارة واحدة ، وإخضاع الشعوب البشرية لسلطان واحد ، حتى يمكنها أن تتقارب وتتفاهم ، وأن تتعاون فى كل عمل يرفع شأن البشر ، ويعود عليه بالخير والرفاهية ، والحضارة اليونانية فى تلك المحاولة على عكس الحضارة اليهودية ، لأن اليهود كانوا يعتقدون أن حضارتهم حباء من الله لهم ، وأنهم أوثروا بها إيثاراً على غيرهم من الشعوب ، فلا يصح لهم أن يشركوا فيها غيرهم ، ولهـذا عاشوا منعزلين عن غيرهم من الشعوب ، ولم يحاولوا أن يضموا شعباً منها إلى حظيرتهم

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الغرضين الجيدين فى الحضارة اليونانية ، وفصلهما أحسن تفصيل فى سورة الكهف من الآية — ٨٣ — إلى الآية — ٩٨ — (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً ، فأتبع سببا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً ، قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم اتبع سبباً ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ، ثم اتبع سببا ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ، فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطرا ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ، قال هذا رحمة من ربى ، فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا)

فهـذه الآيات تفيد أن ذا القرنين كان يرمى إلى أمرين عظيمين ، أولهما جمع الشعوب فى شرق الأرض وغربها تحت حكمه ، ليكون لهم جميعاً سلطان واحد يجمع كلمتهم ، ويقرب مسافات الخلف بينهم . وثانيهما نشر العلم والحضارة بين تلك الشعوب ، فمن آمن وأذعن لذلك جزاه أحسن الجزاء ، ومن لم

يؤمن ويذعن لذلك ناله ما يناله من العذاب ، وقد تم لذى القرنين من ذلك ما أراد ، فجمع أكثر الشعوب المتحضرة تحت حكمه ، ثم عمل على أن يحفظها من الشعوب المتوحشة التى كانت تغير عليها ، وتخرب ما تخرب من آثار الحضارة فيها

وذو القرنين الذى تم له كل هذا هو الاسكندر المقدونى اليونانى ، كان أبوه فيليب ملك مقدونيا ، وكان ملكاً عظيم القدر ، عمل على أن يجمع بين البلاد اليونانية فى حلف تتولى مقدونيا زعامته ، ثم يوجه قوة اليونان بعد توحيدها نحو الفتح الخارجى ، ولكنه قتل قبل أن يتم غايته ، فخلفه ابنه الاسكندر على عرش مقدونيا ، وكانت سنه عند ولايته عشرين سنة ، وقد ورث عن أبيه بعد الهمة وقوة العزم ، وزاد عليه بتربيته على يد أرسطو الفيلسوف المعروف ، فنشأ محباً للفلسفة والعلم ، عاملاً على نشرها فى أنحاء المعمور . وقد أراد أولاً أن يخضع بلاد اليونان كلها لسلطانه ، فإذا تم له إخضاعها توجه إلى ذلك الفتح الذى يجمع الشعوب تحت رايته ، وكانت دولة الفرس على عهده أكبر دول الأرض ، فعمل على قهرها أولاً ، وعبر مضيق الدردنيل إلى الأناضول ، فانتزعه من أيدى الفرس ، وأوقع بجيوشهم فى موقعة إسُوسْ ، ثم اتجه غرباً نحو الشام ومصر فانتزعهما أيضاً من أيدى الفرس ، وما زال يسير غرباً حتى بلغ عين الشمس بواحة سيوة ، وهى العين الحمئة أو الحامية التى ذكر القرآن أنه بلغها فى فتوحاتها الغربية ، ثم عاد فاتجه نحو الشرق قاصداً بلاد فارس ، ليقضى على دولة الفرس فيها ، وما زال يسير شرقاً حتى بلغ سهول الهند الشمالية ، ولم يبق أمامه إلا بلاد يأجوج ومأجوج التى ذكر القرآن أنه وصل شرقاً إليها

ولا شك أن هذا الاتفاق بين فتوحات ذى القرنين والاسكندر المقدونى دليل على أنهما شخص واحد ، وقد ثبت مع ذلك أن الاسكندر المقدونى كان يلقب بذى القرنين ، وفى هذا دليل آخر على أنه هو ذو القرنين الوارد فى القرآن . وقد ذهب إلى هذا الرأى كثير من المفسرين ، ومن رأى منهم أن ذا القرنين غير الاسكندر المقدونى فقد خبط فى بيانه خبط عشواء ، ولم يهتد إلى ملك يثبت التاريخ الصحيح أنه كانت له تلك الفتوحات .

ولا يوجد لدى الذين يأبون أن يكون ذو القرنين هو الاسكندر المقدونى إلا أنه كان على دين فلاسفة اليونان ، ولم يكن رسولاً يدعو إلى الإيمان كما هو ظاهر القرآن فى قوله : (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب) ونحوه مما ورد فى الآيات السابقة . ولنا فى الجواب عن هذا أن نذهب إلى أن الفلسفة اليونانية لم تكن فلسفة وثنية مادية ، وإنما كانت فلسفة توحيدية روحية ، إذ كان العقل عند الفلاسفة الأقدمين كسقراط وأفلاطون وأرسطو يعد مظهراً للروح ، وأكبر دليل على أن لها وجوداً مستقلاً عن الجسد ، فتنفصل منه بعد الموت ، وتصعد إلى عالم أرفع من هذا العالم ، وهذا هو الإيمان بالتوحيد والبعث الذى دعت إليه الأديان السماوية . وقد كان فى أولئك الفلاسفة من ادعى الإلهام والوحى كفيثاغورس وسقراط ، وهى دعوى لا يوجد فى الإسلام ما يمنع من قبولها ، لأنه يمتاز على غيره من الأديان بأنه لا يجعل الرسالة السماوية وقفاً على قوم من الأقوام ، وقد قال الله تعالى فى الآية (٢٤) من سورة فاطر : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » وإذا كان فى آثار أولئك الفلاسفة ما يخالف الدين ، فإنه يمكن أن يكون من التحريف الذى أصاب الفلسفة اليونانية ، كما أصاب الأديان السماوية القديمة . على أن كثيراً من أنصار هذه الفلسفة فى اليهودية والنصرانية والإسلام لا يرون أنها تخالف هذه الديانات ، وقد استخدموا علومها وآلاتها فى نصرة الدين ، حتى صار علم الكلام فى هذه الديانات متأثراً إلى حد كبير بهذه الفلسفة

ويمكننا أن نذهب فى الجواب عن ذلك مذهباً آخر نسلم فيه أنه لم يكن فى هذه الفسلفة وأصحابها إلهام ولا وحى ، وأنهم وصلوا إليها بنظر العقل ، فإنه يبقى مع هذا أن أولئك الفلاسفة اجتهدوا بعقولهم فى الوصول إلى الحقيقة المطلقة ، فوصلوا فى ذلك إلى أسمى ما وصلت إليه العقول فى العصور القديمة ، وإلى ما استحق التقدير من كل من ظهر بعدهم من الأمم إلى عصرنا الحاضر ، فإذا ذكر القرآن آثار علم من أولئك الأعلام ، فإنه يقدر منها ما يستحق التقدير من كل منصف ، وإذا كان فيها شىء من المؤاخذات فإن الله لا ينظر إليها فى هذه الحالة ، كما قال تعالى فى الآية (١٥) من سورة الإسراء : « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر